مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 12 عدد: 2، يونيو 2023
ص: 241 - 253 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

جماليّة السّرد القصصي في القرآن الكريم، قصة بني إسرائيل في سورة الأعراف نموذجا

The Aesthetic of the Narrative in the HolyQur'an

- The Story of the Children of Israel in Surat Al-A'raf as a Model -

ط.د. يوسف سنوسي[1] / د. منقور صلاح الدين[2] *

YOUCEF Senouci[1] / Dr: MANKOUR Salah al-Din[2]

مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر

جامعة ابن خلدون- تيارت (الجزائر)

Ibn Khaldoun University- Tiaret (Algeria)

senouci.Youcef@univ-tiaret.dz[1] / salah.najib15@gmail.com[2]

تاريخ الإرسال: 2022/08/02	تاريخ القبول: 2022/11/02	تاريخ النشر: 2023/06/02

مُلخّص البحث

يشد انتباه المتلقي للخطاب القرآني، أنّ السرد القصصي في القرآن الكريم جاء على نسيج متفرد تؤثر أحداثه في المتلقي وتجعله ينفعل ويتفاعل معها فيراها أمامه مشاهد حية، وتمثل على مستوى الجمالية إعجازا بنائيا بيانيا فنيا حقّق فرادة السرد القرآني في تفاعل بنيته ومكوناته، لتعلن مجتمعة عن مشهد سردي متناسق البناء متكامل الإيقاع. وقد اخترنا أن نسلط الضوء على جمالية السرد القرآني لقصة بني إسرائيل في سورة الأعراف، لبيان جماليته الإعجازية وخصوصيات أسلوبه الفريدة.

ومن النتائج التي توصل إليها البحث أنّ جمالية السرد القرآني في قصة بني إسرائيل تتجلى واضحة في تضافر مستويات اللغة: الصوتية والتركيبية والدلالية وتعالقها خدمة لمقصدية القصص القرآني، فهي جمالية ترتبط بالبناء اللغوي دون أن تقتصر عليه، كما ترتهن بالدلالة ولا تقتصر عليها كذلك، وهو ما يمكّننا من عدم حصر جمالية السرد القرآني في إطار واحد.

الكلمات المفتاح : الجمالية؛ السرد القرآني؛ بنو إسرائيل؛ القصص القرآني؛ سورة الأعراف.

Abstract :

The reciever of the Quranic speech notices that , the story telling in the Nobel Quran appears to be in a unique net ,which drives him to react and interact , so that he can see the events as a reality in front of him. the aesthetic hand, these events can show a miraculous and artistic structure which make the narration in the Nobel Quran the most unique one in its structure and components . this later bounded together can give a narrative coherent scene with a complete structural rhythm .

Here we decided to highlight the aesthetic Quranic narration in the story of children of Israel in surat Al Aaraf , in order to show the aesthetic , miraculousness , and the unique style of narrating . So ,where does the aesthetic narration appear in this story ?

* يوسف سنوسي: senouci.Youcef@univ-tiaret.dz

We noticed that The the aesthetic Quranic narration in this story is obviousely mentioned in the strenth of the language levels to serve the purpose of the Quranic narration , this drives us to not limit the l aesthetic Quranic narration in one frame .

Keywords: The aesthetic, Quranic narration, The children of Israel, Quranic stories, Surat Al-A'raf.

المقدمة:

القصة من الوسائل التي استخدمها القرآن لغرض التشريع، جمعت إلى جانب ذلك بين براعة الإمتاع وفنية الإقناع على نحو يشد المتلقي، ومما يلفت النظر في السرد القرآني أنه شغل حيزا ليس بالهين وقد ركز اهتمامه على الحضارات السابقة مشيرا في ذلك إلى أسباب انحطاطها ليعتبر أولو النهى، وأكثر من ذُكر (بنو إسرائيل)، والمتأمل في سرد القرآن لأحداث وقعت لهم يقف على توظيف مفردات وتراكيب تناسب طبيعة نفس بني إسرائيل والمشاهد التي يعرضها، بأسلوب ماتع اختيرت فيه مفردات متماسكة الدال والمدلول، وقد وقع اختيارنا على قصة بني إسرائيل في سورة الأعراف محاولين استكناه جمالية السرد القرآني لهذه القصة. فأين تكمن جمالية السرد القرآني في هذه القصة؟ وللإجابة عنها تطرقنا إلى العناصر الآتية:

1- الجمالية إشكالية المصطلح وزئبقية المفهوم.

2- الجمالية والبنية الأسلوبية لقصة بني إسرائيل في سورة الأعراف.

3- جمالية المفردة القرآنية في القصة بين الإفراد والتركيب.

4- خاتمة.

1- الجمالية إشكالية المصطلح وزئبقية المفهوم:

الجمالية من المصطلحات التي استقطبت النقاد في طبيعة الرؤية إلى الخطاب، فكان توجههم الخالص وهدفهم ينحصر في إدراك كنه ما يسمى اليوم بالجمالية هذا المصطلح الذي يستعمل "نعتا لكل ما يتصل بالجمال أو ينسب إليه وتستعمل أيضا اسما، وتعني العلم الذي يعكف على الأحكام التقييمية التي يميز بها الإنسان الجميل عن غير الجميل ولذلك أطلق عليه بعضهم علم الجمال، على أن هناك من يلجأ إلى اللفظ المعرب استيطيقا"[1]، ويجعل منها الدكتور محمد غنيمي هلال امتداد لفلسفة (كانط Kant) المثالية في الوجود والمعرفة، وإن كانت –في جنب من جوانبها- فلسفة شكلية، تعطي الشكل كل الأهمية، بعيدا عن المضمون، ولكن هذا المفهوم تغلغل في مذاهب النقد الأدبي الحديثة وهو ما أدى بالدراسة النصية الجمالية إلى دراسة اللغة الأدبية وظروف إنتاج النص، مما حتم على الجمالية ألا تولي اهتمامها على مستوى المحتوى للعمل الفني فحسب وإنما تعدت إلى شكله[2]، الذي له بنياته ومقوماته وله عناصره التي تنبع من مستويات لغوية وبلاغية وأسلوبية.

وهو ما "أفضى إلى التنبّه إلى الخصائص اللغوية والتي تمنح الخطاب وظيفته التأثيرية والجمالية"[3]، ولعل ذلك جعل النقاد يعتبرون جمالية النص "الاهتمام بالكيفية التي يكوّن بها المعنى، والكيفية التي تتحقق بها اللذة"[4]، على اعتبار الجمالية حسبهم تعود إلى بنية العناصر المتفاعلة، وأخذوا يطرحون أسئلتهم عن الـ (كيف) لا عن الـ (ماذا)[5]، فكان عملهم منصبّا على تلمّس أسرار الجمالية من داخل النص سعيا إلى إبراز هويته الجمالية، ومنحه الفرادة الأدبية، وهو ما يعكس وجود الجمال في الكلام ولا يقتصر وجوده على الفنون الجميلة الأخرى.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحديث عن الجمالية في الأدب قائم على ركيزتين اثنتين:

أولاهما: السعي الجاد نحو منهجية أقرب إلى العلمية بالتحام النقد الحديث التحاما وثيقا لامنظومة اللغوية أو اللسانية، وأدى ذلك إلى بُعد الدراسات عن الهوى والانفعال وقرّبها من العلمنة، كون اللغة ظاهرة علمية تتحكم بشكل كبير في بلورة هذه الجمالية بصدق، خاصة على المستوى الدلالي والفني.

ثانيها: محاولة اكتشاف سمات كل عمل أدبي من داخله، إيمانا بخصوصية النوع الذي ينتمي إليه، فغدا كل نص يقود ناقده إلى المفتاح الأساسي لفك ما فيه من تجربة إبداعية وجمالية قد تفرد بها[6] ، ولعل هذه الزئبقية كانت سببا كي يُساء فهم الجمالية على نحو يثير اللّبس مما دفع بالمصطلحات أن تتقاطع مع الجمالية انطلاقا من مفهومها: مثل الأدبية والشعرية والأسلوبية وعلم الأدب.

فالجمالية هي البحث في العناصر الفنية التي تؤثر في المتلقي، وسرّ تأثيرها فهي بذلك ليست أمرا وهميا، كما أنها تبحث في الجمالي والدلالي (التأثيري) لأنه مرتبط بأدبية الأدب.

وإذا جئنا إلى جمالية القرآن الكريم نجدها شغلت كثيرا من العلماء والدارسين فسعوا إلى بيان السمات المميزة للنص القرآني، والتي تجعله "نصا متفرّدا عن كل النصوص والخطابات"[7]، وكان مما ركزوا عليه جمالية النص القرآني في لغته ومحتواه وعمق رؤياه، "أيْ في شفويته وكتابيته"[8] التي هي تفاعل بين جمالية اللفظ والمعنى.

2- الجمالية والبنية الأسلوبية لقصة بني إسرائيل في سورة الأعراف:

نظرا لطبيعة نفسيات بني إسرائيل وعقلياتهم فإن لغة السرد القرآني لقصصهم تزخر باللمسات الفنيّة والظواهر الجمالية، التي تشكل تربة خصبة لدراسة هذا السرد دراسة نقف فيها على مكامن الجماليّة التي تولد فينا عند قراءته شعورا بالرغبة في اكتشاف الخصائص النوعية المؤسسة لخطاب هذا السرد، والتي تضفي عليه إيقاعات جمالية وفنية، وقد وقع اختيارنا على مشهد النجاة في قصة بني إسرائيل في سورة الأعراف نموذجا تطبيقيا.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا

﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140)وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ(141)﴾ [الأعراف، 138- 141].

في هذا المشهد قصة سيدنا موسى عليه السلام مع قومه بني إسرائيل؛ بعد إذ أنجاهم الله من عدوهم، وأغرق فرعون وملأه، ودمر ما كانوا يصنعون.سيدنا موسى عليه السلام بدءا من هذا المشهد-في مسار دعوته-لا يواجه طاغوت فرعون وملئه؛ولكنه يواجه معركة مع (النفس البشرية) ممثلة في نفس بني إسرائيل، التي مازال بها رواسب الجاهلية، والذل الذي أفسد طبيعة بني إسرائيل، وملأها بأمراض معنوية كالالتواء والقسوة والجبن والضعف لتفادي الأخطار والعذاب[9]؛ ونرى من خلال هذا المشهد نفوس بني إسرائيل "وهي تواجه الحرية بكل رواسب الذل، وتواجه الرسالة بكل رواسب الجاهلية؛ وتواجه موسى عليه السلام بكل الالتواءات والانحرافات والانحلالات والجهالات التي ترسبت فيها على الزمن الطويل"[10]، ولا شك أن "العناية بعرض مواقفها وعبرتها عناية ظاهرة، توحي بحكمة الله في علاج أمر هذه الأمة المسلمة، وتربيتها وإعدادها للخلافة الكبرى"[11].

تصور الآيات 138-141 من سورة الأعراف قصة بني إسرائيل بعد تجاوز البحر، بعد أن أنقذهم موسى عليه السلام بفضل الله من عدوهم فرعون وعذابه الوحشي، فقال تعالى:﴿وَجَاوَزْنَا﴾وفيها تذكير لهم بالنعمة التي منّ الله بها عليهم وهي أنّ عبورهم البحر بأمان كان بلطف الله ورعايته، ولكن ها هم أولاء ما إن يتجاوزوا البحر حتى تقع أبصارهم على قوم وثنيين،﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ مستغرقين في طقوسهم الوثنية، فكان المتوقع أن ينكروا ما شاهدوا لكن خاب التوقع فقالوا:﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾طلبوا من موسى عليه السلام الذي كان سببا في إنجائهم، أن يتخذ لهم وثنا يعبدونه من جديد، إنه طلب غريب فيه من بلادة تلك العقول وسفاهتها الشيء الكثير؛ "ولو أنهم اتخذوا لهم آلهة لكان أهون وأقل غرابة من أن يطلبوا إلى رسول رب العالمين"[12]. ويغضب موسى عليه السلام لرب العالمين، فيجيبهم:﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾دون ذكر مفعول الفعل "ليكون في إطلاق اللفظ ما يعني الجهل الكامل الشامل"[13]، الذي جعلهم لا يفرقون بين من يستحق الشكر والتعظيم ومن يستحق الذم والتحقير، ثم بيّن لهم أن ذلك كله مُهلَك مُدمَّر بقوله:﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ويتبعه باستفهام تعجبي فيه إنكار وتوبيخ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾تعجب من قومه الذين نسوا نعمة الله بأنه اختارهم لرسالة التوحيد من بين المشركين، واختارهم ليورثهم الأرض المقدّسة[14]، فبين لهم بهذا القول "أنّ الإله ليس شيئا يطلب ويتلمس ويتخذ، بل الإله هو الله الذي يكون قادرا على الإنعام بالإيجاد وإعطاء الحياة وجميع النعم"[15]، ثم يستطرد السياق بخطاب من الله تعالى موصول بكلام موسى عليه السلام موجّه كذلك لقومه﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾وهي نعمة كفيلة لوحدها بالشكر والاعتبار، "وفي مثل هذا الوصل في القرآن الكريم، بين كلام الله سبحانه وما يحكيه من كلام أوليائه، تكريم لهؤلاء الأولياء لا ريب فيه"[16]؛﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾بلاء النجاة وبلاء العذاب، والبلاء يقع على النوعين "فيقال للنعمة بلاء

وللمحنة الشديدة بلاء (...) وحمْله على النعمة أولى لأنها هي التي صدرت من الرّب تعالى"[17]. وذلك كله للموعظة والتذكير قبل أخذ الله الأليم الشديد.

ومما يلفت الانتباه في هذا السرد القرآني تركيزه على مخاطبة (إنسان بني إسرائيل) وخلخلة عقله "وهو في كل هذا يشير إلى أسباب انحطاط هذه الأمم ومحاولة الأنبياء الإصلاح ابتداء من المبدإ وهو عقيدة التوحيد وانتهاء بالأخلاق والمعاملات التي تنهض بالشعوب حاثا على النظر في عاقبة الأمم السابقة"[18].

وإذا جئنا إلى الجمالية والبنية الأسلوبية (الفنية) في هذه القصة وجدنا حضورهما قويا يتضافر في تحقيقها "اللفظ برنينه الصوتي، والجملة بنظامها وتركيبها المنوع، والفاصلة بإيقاعها المتلائم مع النسق اللفظي والسياق العام، والمشهد الحي بتكريس التصوير المجسد للحركة والتجدد، وهذه المنظومة لجماليات الأسلوب تتوالى في سياق دلالي فتعطي للمعنى عمقا وللهدف الديني نفاذا إلى أعماق النفس البشرية"[19]، وبناء على ذلك ستكون دراستنا للمفردة في حالتها الإفرادية ودلالتها على المعنى، ثم نتتبع تلك المفردة إلى حالات التركيب، ونقف عند الفاصلة القرآنية والصوت في هذه الآيات ومناسبتها للدلالة.

3- جمالية المفردة القرآنية في القصة بين الإفراد والتركيب:

بناء النص يرتكز على نظامين: إفرادي وتركيبي وفيهما يكون تحويل المفردات "عن مجرد أداة اتصال وحسب إلى وسيلة إبداعية تحقق المتعة والجمال.فضلا عن الاتصال"[20]، ولقد اهتم النقاد العرب بالمفردة في حديثهم عن شروط الفصاحة انطلاقا من الحرف وما يتعلقه من النطق والسماع، "لأن العناية بالحرف وبطبيعته تمثل أهم الجزء الأساسي في الاهتمام بأدبية النص في شكلها الكلي"[21]، وجعلوا أدبية المفردة أو ما اصطلحوا عليه (صفات اللفظ الحسن) أن يكون "سمحا سهل المخرج"[22]، وقد حظي القرآن من ذلك كله بأعلى درجات الفصاحة والحسن. إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن المفردة وحيدة خارج السياق لا تحقق مطلق الأدبية والجمالية، وإن كان حسنها في تناغم أصواتها، على اعتبار أن المفردة لا تحقق الجمال بذاتها، فجمالية النص تقتضي أن تقع اللفظة ضمن مجموعة من العلاقات، "لتكون أدبية اللفظة وشعريتها مكتسبة من خلال اتصالها ببقية المفردات، وتكون سمات فرادة الأسلوب، خصوصية اللفظة المختارة"[23] وهو ما يحدد جمالية التركيب لتتوسع على باقي بناءِ النص وتجعله مبنيا على "تخيُّر اللفظ؛ وتخيُّره أصعب من جمعه وتأليفه"[24]، ولا شك أن تخيُّر المفردات في التعبير القرآني وتوظيف كلمة دون أخرى في سياق بعينه حقق الجمالية في بُعديْها: الإمتاع والإقناع، وجعل الكلمة تناسب المعنى الذي أريد الوصول إليه، ومثال ذلك من قصة بني إسرائيل في سورة الأعراف توظيف بعض الأبنية والصيغ المناسبة لسياق القصة ومشهدها، ومنها:

(جَاوَزْنَا): المجاوزة هي البعد عن المكان عقب المرور فيه، ودلالتها في هذا السياق "قدرنا لهم جوازه ويسّرناه لهم"[25]، وهي نعمة الله عليهم بعد أن تبعهم آل فرعون مشرقين. "والقرآن الكريم يسند الفعل إلى الله سبحانه في مقام التشريف والتكريم ومقام الخير العام والتفضّل بخلاف الشر والسوء فإنه لا يذكر فيه نفسه تنزيها له عن فعل الشر وإرادة السوء"[26].

(بَنُو إسرائيل): عرفهم بالإضافة وبأحب الأسماء إليهم -نبي الله يعقوب-وفي ذلك نوع من التأنيب، كأن تقول للفاسق (ابن الرجل الصالح).

ولا شك أن هناك فرقا في التوظيف القرآني بين (بني إسرائيل) و(اليهود)، فهو "عندما كان يتحدث عن بني إسرائيل في تاريخهم السابق على بعثة محمد صلى الله عليه وسلم أو كان يشير إلى بعض ما وقع لهم وعليهم قبل البعثة كان يطلق عليهم بنو إسرائيل، ولما كان يتحدث عنهم في مواجهتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد هجرته إليها، ويكشف عن نفسياتهم ودسائسهم وتحريفاتهم ويفند شبهاتهم ودعاياتهم وأقوالهم كان يطلق عليهم اليهود، إذن يمكننا أن نقول أن هذا الشعب المعروف في التاريخ، يسمى بني إسرائيل في حياته السابقة منذ يوسف عليه السلام وانتهاء ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا الشعب نفسه بعد البعثة النبوية فقد هذا الاسم وأخذ اسما جديدا وهو اليهود"[27]، وقد وردت كلمة (إسرائيل) ثلاثا وأربعين مرة في القرآن الكريم "مرتان منها اسما آخَر لنبي الله يعقوب عليه السلام، وإحدى وأربعون مرة مضافة إلى (بني)، إخبارا عن (بني إسرائيل)"[28].

(البَحْر): في هذه القصة هو جند من جنود الله سخره لسيدنا موسى عليه السلام، أوحى إليه أن اسمع لموسى وأطع إذا ضربك، فانفلق.

(يَعْكُفُونَ): العكوف هو الملازمة بنية العبادة، وتعدى بـ (على) لما فيه من معنى النزول وتمكنه[29].

(أَصْنَام): دل التنكير على تحقير الأصنام وأنها مجهولة، وزاد (لهم) دون الاكتفاء بـ (أصنام) "بأنه زيادة تشنيع بهم وتنبيه على جهلهم وغوايتهم في أنهم يعبدون ما هو مُلك لهم فيجعلون مملوكهم إلاههم"[30]، وسمّوا الصنم إلها دلالة على جهلهم، فهم يحسبون الصنم يجدي صاحبه[31].

(إِلَهًا): وظف القرآن في هذه القصة مفردة (إلها) و(آلهة) و (الله) في موقف التأليه والتعظيم، فاقتضى السياق توظيف ما يناسب المقام، ووظف (ربكم) في موقف التربية والتعليم، فاقتضى السياق توظيف ما يناسب ذلك.

وفي مفردة (الله) خاصيتان ذكرهما علماؤنا، إحداهما: أن جميع حروفها جوفية ليس فيها حرف شفهي؛ إشارة إلى الإتيان بها من خالص الجوف وهو القلب لا من الشفتين. الثانية: أنه ليس فيها حرف معجم بل جميعها متجردة عن النقط؛ إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى.

(مُتَبَّرٌ): ويحتمل معنيين: الأول أن يتبّر (يدمّر) الله دينهم الذي هم عليه، والثاني أن يكون العبدة هم المعرضون للتبار؛ وفي ذلك تحذير لبني إسرائيل من عاقبة ما طلبوا حين سألوا موسى أن يجعل لهم آلهة يعبدونها.

وفي مفردة (متبَّر) وثقل نطقها دلالة على شدّة هلاكهم وتدميرهم، وقد اختار في تعريف حالتهم حين عبادة التماثيل وما يقتضيه من الضلالات الجملةَ الموصولة ﴿ما هُمْ فِيهِ﴾ "لأن الصلة تحيط بأحوالهم التي لا يحيط بها المتكلم ولا المخاطَبون"[32].

وفي تكرار الفعل (قال) المسند إلى سيدنا موسى عليه السلام نكتة لطيفة إذ "يعاد في حكاية الأقوال إذا طال المقول، أو لأنه انتقال من غرض التوبيخ على سؤالهم إلى غرض التذكير بنعمة الله عليهم، وأن شكر النعمة يقتضي زجرهم عن محاولة عبادة غير المنعم، وهو من الارتقاء في الاستدلال على طريقة التسليم الجدلي"[33].

والاستفهام بقوله: (أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا) أفاد الإنكار والتعجب من طلبهم "وتقديم المفعول الثاني للاختصاص والمبالغة في الإنكار أي: اختصاص الإنكار ببغي غير الله إلها"[34]، فهم في نعم الله يتمتعون ويطلبون إلها غيره يعبدون فكان الإنكار عليهم تحميقا لهم.

(العَالَمِينَ): المراد بها أمم عصرهم، وتفضيل بني إسرائيل عليهم يمكن إجماله فيما يلي[35]:

- أنهم ذرّيّة رسول وأنبياء.
- أنّ منهم رسلا وأنبياء.
- أنّ الله هداهم إلى التوحيد.
- أنّ الله نجّاهم من فرعون ومكره.
- أنّ الله جعلهم أحرارا بعد أن كانوا عبيدا لفرعون وآله.
- أنّ الله أورثهم الأرض المقدّسة.
- أنّ الله بعث فيهم رسولا ليقيم لهم الشريعة.

ولأجل هذا الفضل والتفضيل أنكر عليهم سيدنا موسى عليه السلام طلبهم تقليد غيرهم "لأن شأن الفاضل أن لا يقلد المفضول"[36].

(أَنْجَيْنَاكُمْ): فيه امتنان من الله وانتقال من الخبر والعبرة إلى النعمة والمنة، بخلاف (نجّيناكم) التي وردت في سورة البقرة في سياق تعداد النعم ليزدجروا عن المخالفة والعناد فناسبه التضعيف.

(يُقَتِّلُونَ): بدل (يذبّحون) الواردة في سورة البقرة قيل أن الذبح: إزالة الروح وهو مبني على القتل، وأما القتل فهو أعم، وقد رأى ابن فارس في المقاييس أن (ق ت ل) أصل يدل على إذلال وإماتة[37]، ومنه اختلف (القتل) عن (الذبح) في الإذلال المصاحب لإزالة الروح. فناسب أن يأتي به هنا للدلالة على أنواع القتل والإذلال الذي رامه فرعون وآله لبني إسرائيل.

وإذا جئنا إلى تحديد الصراع في هذه القصة وجدناه صراعا بين الكفر والتوحيد، بين الخير والشر، ولزوم اتخاذ الموقف في هذا الصراع، واختيار أحد الفريقين، ويظهر هذا الصراع في بني إسرائيل "كونهم نموذجا للتردّد وعدم حسم الموقف في حياتهم"[38]، بل حتى في عقيدتهم فقالوا لموسى عليه السلام: (اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) بعد نجاتهم من الغرق مباشرة، فأيّ تردّد هذا وأيّ شك، وأيّ سلبية اتصف بها هؤلاء القوم؟!

أما بناء القصة فكان وفق المخطط الآتي:

فهي تبدأ بالسرد (وجاوزنا ببني إسرائيل...) لبيان مواقف حدثت في القصة، وبعد هذا السرد يبدأ الحوار الخارجي (قالوا يا موسى...) لبيان أفكار وأسرار تتطلب أن يتحدث الطرفان ولتوفير عنصر الإقناع وتحقيق المتعة الفنية التي يتطلبها شكل القصة، ليعيش المتلقي أجواء المشهد الحواري مندهشا ومتأثرا من عقلية وحمق بني إسرائيل وجرأتهم على الله ونبيه موسى عليه السلام ، فقد انماز هذا الحوار بالصدق الدلالي ، وتكثيف المعاني، إنه حوار جدي قائم على الحجة والدليل، فضلا عن بيان الحالة النفسية للأطراف المتحاورة، وقد ارتقى هذا الحوار ليرسم لنا مشهد النهاية المقدرة والمتوقعة لفعل مشين سيئ، فينغلق الحوار دون أن يترك مجالا للطرف الثاني (بنو إسرائيل) في إطالة الكلام والرد، وقد كان الحوار متميزا ناجحا لأن الجمل ابتعدت عن التطويل والتركيب المعقد، رغم أنها كانت مبيّنة معللة، مما زادها تعالقا نصيا بينها وبين الجمل السردية؛ ومن ثم يأتي بالسرد لبيان بعض المواقف والنعم فيقول (وَإِذْ أَنجَيْنَاكُمْ..) بأسلوب ملخص دون الخوض في التفاصيل وهو ما يوحي بالتكثيف، وسرعة إيقاع الزمن في سرد القصة.

أما مناسبة آيات القصة لبعضها البعض فإننا وجدنا أجزاءها بعضها آخذا بأعناق بعض فقوي الارتباط، وتمثل المناسبة "وسيلة من أهم وسائل التماسك النصي: شكليا ودلاليا"[39]، رغم أن علماء النصية لم يشيروا إليها على أنها من وسائله، ولعل ذلك راجع إلى عدم اشتغالهم على القرآن الكريم.

وسنركز هنا على تكرار الفاصلة الواحدة لأنه من الوسائل التي تحقق التماسك بين الآيات وتتصل بالمناسبة، فلقد أشار الباحثون في علوم القرآن إلى الخاصية التي تميز الإيقاعية القرآنية الخارجية، فترجموها بالفاصلة، تفريقا عن الخطاب السجعي، "وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام؛ وهي الطريقة التي يباين بها القرآن سائر الكلام. وتسمى فواصل؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان"[40]، و"تسهم هذه الفاصلة في تحقيق التماسك النصي للنص القرآني كما يسهم الوزن والقافية في تحقيق صفة النصية للنص الشعري، ويتحقق هذا التماسك عبر تحقيق هذه الفاصلة للاستمرارية على النص"[41].

ومن صفات الفواصل القرآنية توظيف حروف ذات وقع نغمي ووضوح سمعي لتظهر للسامع حين الوقوف عليها، وسورة الأعراف تنتهي مائة وخمس وتسعون آية منها بحرف النون، -وآيات مشهدنا هذا من ذلك- وصفاته الصوتية "صامت أسناني لثوي أنفي مائع (متوسط) مجهور"[42]، وللفاصلة القرآنية مناسبة مع الدلالة التي تحملها، والآيات التي توجد فيها هذه الفواصل مناسبة لصفاتها الصوتية من شدة وجهر.[43]

ولعل توظيف صوت النون -هذا الصوت المجهور-فاصلة في آيات هذه القصة له ما يبرره، إذ إنه يتناسب ومجريات الأحداث التي قامت مقاما دفاعيا أبرز طبيعة الصدام الذي قام بين سيدنا موسى عليه

السلام وبني إسرائيل، صدام أهل الحق وأهل الباطل، لا شك أنه يتطلب أصواتا مجهورة تناسب الموقف الدفاعي، ولا شك أن ذلك سمة من سمات الإعجاز الفني في القرآن وفرادته.

ولا نقف عند حدود الفاصلة فإذا تأملنا النظام الصوتي لهذه القصة وجدنا أن الأصوات الانفجارية الشديدة، والأصوات المجهورة قد وظفت بنسبة عالية، كما يوضحه الجدول الآتي:

الحرف	تكراره	الحرف	تكراره	الحرف	تكرار
الهمزة	21	الذال	03	الغين	02
الباء	10	الراء	05	اللام	25
الجيم	04	الزاي	01	الميم	22
التاء	06	الضاء	01	النون	22
القاف	05	الظاء	01	الواو	12
الكاف	12	الياء	09		
الطاء	01	العين	10		

وما يبرر هذا التواتر الكبير للأصوات الانفجارية (الشديدة) والمجهورة أن القصة تصور صراع سيدنا موسى عليه السلام مع (نفس) بني إسرائيل التي كفرت بأنعم الله وجحدت فضله وطلبت إلها غيره، فناسب أن يكون ردّ سيدنا موسى عليه السلام الغضبان الأسف بهذه الشدة بأصوات شديدة تدل على قوة القرار والعزم على تنفيذه من لين، فكانت الأصوات الانفجارية الشديدة تصل الآذان وتسبق المعاني لتغيّر هذه (النَّفْسُ) ما هي عليه، ولا شك أن هذا الموقف لا يتطلب اللين والرفق حملا على ظاهرهم ولسان حالهم ومقالهم.

فالقصة يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد تصويرها، فساعد على إكمال معالم الصورة الحسية والمعنوية، وهنا يظهر ارتباط الصوت بالمعنى ومناسبته له، وملاءمة المباني للمعاني، وهو ما اصطلح عليه النقاد العرب القدامى " مشاكلة اللفظ للمعنى"، وجعلوه أصلا من أصول البلاغة الثانية، وهو ما يؤكد علاقة اللفظ بالمعنى وشَدِّ خيوطه بالقصة، ومن ثم الأخذ بمكامن القارئ ليتصور الحدث كما يجب أن يُتَصور.

4- الخاتمة:

ومحصلة القول: إن جمالية السرد القرآني في قصة بني إسرائيل تتجلى واضحة في تضافر مستويات اللغة: الصوتية والتركيبية والدلالية وتعالقها خدمة لمقصدية القصص القرآني، فهي جمالية ترتبط بالبناء اللغوي

دون أن تقتصر عليه، كما ترتهن بالدلالة ولا تقتصر عليها كذلك، وهو ما يمكّننا من عدم حصر جمالية السرد القرآني في إطار واحد.

وبعد هذه الدراسة الأدبية للسرد القرآني في قصة بني إسرائيل يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

- السرد القرآني لقصة بني إسرائيل يتخير الألفاظ بدقة فائقة للدلالة على المعاني المقصودة.
- تتفاعل الشخصية في قصة بني إسرائيل مع الأحداث والحوار فتجعل القارئ يعيش المشاهد بوجدانه.
- اعتمد السرد القرآني للقصة على خاصية التصوير فتمثلت المشاهد حية أمام المتلقي.
- السرد القرآني للقصة يوظف مفردات ويركز على أحداث تناسب السياق والسورة التي يرد فيه.
- جمالية السرد القرآني يتضافر في تحقيقها الصوت بتنغيمه، والتركيب بنظمه، والفاصلة بإيقاعها، والسياق العام للمشاهد.
- السرد القرآني فيه من الإمتاع والإقناع ما يحقق فرداته الأدبية وجماليته التصويرية.

هوامش:

[1]- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس ، ط3، د.ت، ص: 147.

[2]- ينظر: زروقي عبد القادر: أدبية النص عند ابن رشيق في ضوء النقد الأدبي الحديث، 2014، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط1، ص: 49، 50.

[3]- بشرى موسى صالح: المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث، مجلة علامات في النقد، المملكة العربية السعودية، مج: 10، ع: 40، جوان 2001، ص: 285.

[4]- جوناثان كالر: النظرية الأدبية، تر: رشا عبد القادر، منشورات وزارة الثقافة السورية، 2004، دمشق، سوريا، دط، ص: 53.

[5]- ينظر: جاسم خلف إلياس: شعرية القصة القصيرة جدا، 2010، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، دط، ص: 15.

[6]- ينظر: طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة، 2000، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ط1، ص: 13، 14.

[7]- حسن مسكين: مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج، 2010، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط1، ص: 85.

[8]- المرجع نفسه، ص: 85.

[9]- ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، 1972، دار الشروق، مصر، ط1، مج3، ج9، ص: 1364.

[10]- سيد قطب: المصدر نفسه، مج3، ج9، ص: 1365.

[11]- المصدر نفسه: مج1، ج1، ص: 66.

[12] - المصدر نفسه: مج3، ج9، ص: 1366.
[13] - المصدر نفسه: مج3، ج9، ص: 1366.
[14] - ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، مج3، ج9، ص: 1366، 1367.
[15] - محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي، 1981، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، ج14، ص: 234.
[16] - سيد قطب: في ظلال القرآن، مج3، ج9، ص: 1367.
[17] - محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي، ج3، ص: 74.
[18] - حلومة التيجاني: البعد النهضوي في السرد القرآني، مجلة حوليات، جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة، الجزائر، ج2، ع20، 01 ديسمبر 2011، ص: 218.
[19] - يحي بن مخلوف: من جماليات الأسلوب القرآني، مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1، الجزائر،ع19، 2016، ص: 212.
[20] - زروقي عبد القادر: أدبية النص عند ابن رشيق في ضوء النقد الأدبي الحديث، ص: 198.
[21] - المرجع نفسه، ص: 198.
[22] - طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، 1985، دار الكتب العلمية، بيروت، ابنان، ط1، ص: 124.
[23] - زروقي عبد القادر: أدبية النص عند ابن رشيق في ضوء النقد الأدبي الحديث، ص: 205.
[24] - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين " الكتابة والشعر"، 1952، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، ص: 23.
[25] - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 1984، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، ج9، ص: 80.
[26] - فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، 2002، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، ص: 313.
[27] - صلاح عبد الفتاح الخالدي: الشخصية اليهودية من خلال القرآن "تاريخ وسمات ومصير"، 1998، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، ص: 38.
[28] - صلاح عبد الفتاح الخالدي: الأعلام الأعجمية في القرآن "تعريف وبيان"، د.ت، دار القلم، دمشق، سوريا، دط، ص: 63.
[29] - ينظر: محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص: 80.
[30] - المصدر نفسه، ج9، ص: 80.
[31] - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 81.
[32] - محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص: 83.
[33] - المصدر نفسه، ج9، ص: 83.
[34] - المصدر نفسه، ج9، ص: 83.
[35] - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 84.
[36] - المصدر نفسه، ج9، ص: 84.

[37] - ينظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج5، ص: 56. (قتل)

[3838] - علي محمد رضا وآخران: الوحدة الموضوعية في سورة الأعراف، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران، مج10، ع4، 1436هـ، ص: 637.

[39] - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق "دراسة تطبيقية على السور المكية"، 2000، دار قباء، القاهرة، مصر، ط1، ج2، ص: 93.

[40] - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ج1، ص: 54.

[41] - صبحي إبراهيم الفقي: المرجع السابق، ج2، ص: 137.

[42] - برتيلمالمبرج: علم الأصوات، تعريب: عبد الصبور شاهين، دت، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، دط، ص: 123.

[43] - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي: المرجع السابق، ج2، ص: 139.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، ط3، د.ت.

2- زروقي عبد القادر: أدبية النص عند ابن رشيق في ضوء النقد الأدبي الحديث، 2014، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط1.

3- بشرى موسى صالح: المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث، مجلة علامات في النقد، المملكة العربية السعودية، مج: 10، ع: 40، جوان 2001.

4- جوناثان كالر: النظرية الأدبية، تر: رشا عبد القادر، منشورات وزارة الثقافة السورية، 2004، دمشق، سوريا، دط.

5- جاسم خلف إلياس: شعرية القصة القصيرة جدا، 2010، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، دط.

6- طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة، 2000، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ط1.

7- حسن مسكين: مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج، 2010، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط1.

8- سيد قطب: في ظلال القرآن، 1972، دار الشروق، مصر، ط1، مج3، ج9.

9- محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي، 1981، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، ج14.

10- حلومة التيجاني: البعد النهضوي في السرد القرآني، مجلة حوليات، جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة، الجزائر، ج2، ع20، 01 ديسمبر 2011.

11- يحي بن مخلوف: من جماليات الأسلوب القرآني، مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1، الجزائر، ع19، 2016.

12- طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، 1985، دار الكتب العلمية، بيروت، ابنان، ط1.

13- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين " الكتابة والشعر"، 1952، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1.
14- محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 1984، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، ج9.
15- فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، 2002، دار عمار، عمان، الأردن، ط2.
16- صلاح عبد الفتاح الخالدي: الشخصية اليهودية من خلال القرآن "تاريخ وسمات ومصير"، 1998، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1.
17- صلاح عبد الفتاح الخالدي: الأعلام الأعجمية في القرآن "تعريف وبيان"، د.ت، دار القلم، دمشق، سوريا، دط.
18- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج5.
19- علي محمد رضا وآخران: الوحدة الموضوعية في سورة الأعراف، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران، مج10، ع4، 1436هـ.
20- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق "دراسة تطبيقية على السور المكية"، 2000، دار قباء، القاهرة، مصر، ط1، ج2.
21- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ج1.
22- برتيلمالمبرج: علم الأصوات، تعريب: عبد الصبور شاهين، دت، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، دط.